

الاستراتيجية البيئية المعاصرة



• د. أحمد بن مشهور الحازمي



عندما تنادت دول العالم ومنظماته عام ١٩٧٢م في ستوكهولم للاجتماع الدولي لبحث موضوع تلوث البيئة كان ذلك بداية حقيقية لصحو هذه الدول من غفلتها رغم أنه سبق صيحات عدة من علماء البيئة لعل أشهرها تحذيرات عالمة Rachel Carson التي ألفت كتابها الأول بعنوان "الربيع الصامت" وهو يحكي جملة من الآثار التي تخلفها مبيدات DDT على الحياة وشحنت الكتاب بالكثير من القصص المؤلمة ومدى ما تحدثه هذه المادة الكيميائية من آثار ضارة على بعض عناصر البيئة، وقد أحدث هذا الكتاب هزة عنيفة في المجتمع الغربي وبق ناقوس الخطر حول أسلوب التعامل مع هذه المواد ولم يكن وقتها قد انتشر الوعي البيئي بصورة كافية في تلك الأوساط، ثم توالى الدراسات والبحوث العلمية التي تعالج مواضيع مختلفة حول التلوث وآثاره وأسلوب الحد منه، ونشأت من ذلك المنظمات التي تعنى بالمحافظة على البيئة ولم تطرح الاستراتيجية البيئية ضمن مفهوم التنمية المستدامة إلا في التسعينات وبالتحديد بدأت منذ عقد مؤتمر قمة الأرض العالمي في ريوجانيرو عام ١٩٩٢م، والذي استعرض فيه مجمل قضايا البيئة، وخلصوا فيه إلى ما أسموه أجندة ٢١ ومن هذا الحدث بدأت الدول الصناعية الكبرى تفكر بجدية في كيفية إنشاء اقتصاديات مستدامة، ففي أوروبا نأخذ هولندا على سبيل المثال والتي بنت سياستها البيئية في إطار مكون من خمسة مستويات.

المستوى	نوع البيئة	المشكلات النموذجية	الأهداف الرئيسية للخطة
المستوى الأول المحلي	البيئة المتطورة	البيئة الداخلية والتربة	الحد من الضوضاء والروائح الكريهة
المستوى الثاني الإقليمي	المناظر الطبيعية	تخصب المياه والتخلص من النفايات	الحد من المواد الحمضية المنبعثة والنفايات بنسبة ٧٠-٩٠%
المستوى الثالث النهري	أحواض الأنهار والبحار الساحلية	تخصب المياه والتصحّر	الحد من المواد المخضبة غير المحللة بنسبة ٩%
المستوى الرابع القاري	تيارات الهواء المحيط	المواد المشعة الساقطة والتحمض	الحد من المواد الحمضية وبعض الانبعاثات الرئيسية بنسبة ٩٠%
المستوى الخامس العالمي	الغلاف الجوي الأعلى	القضاء على طبقة الأوزون وتغيير المناخ	تثبيت المنبعث من غاز CO ₂ عند معدلات ٩٠/٨٩

ويجب أن نعلم أن المشاكل البيئية في أي مستوى من المستويات السابقة سوف تؤثر حتماً في المستويات الأخرى، فمشكلة الفريونات وهي تلك المواد الكيميائية التي تستخدم للتبريد والتي اتفق المجتمع الدولي على التخلص منها تماماً وذلك عندما وضع

إذا نظرنا إلى المستويات الخمسة التي تبني عليها سياسة هولندا فإنها بدأت بالمشكلات البيئية التي تواجهها والتي تترك أثراً على المستوى المحلي ثم تعبر إلى الإقليم وصولاً إلى المشكلات البيئية العالمية التي تحتاج أن تساهم فيها هولندا مع بقية دول العالم

تحقيق الحدود المسموح بها عالمياً وتحقيق الهدف المنشود، وهل نتائجها سوف تضيفي على البيئة شيئاً ملموساً. ولهذا قد يلجأ بعض المخططين إلى خيار آخر وهو تقليل الإنتاج لكن هذا الاختيار في الغالب مرفوض من قبل المخططين الصناعيين لأن تقليل الإنتاج معناه زيادة التكلفة يصعب معه المنافسة في الأسواق المحلية فضلاً عن العالمية. إن الاستراتيجية العامة للبيئة تختلف من دولة لأخرى حسب ظروف ومتطلبات كل دولة ولا بد أن يكون لدى كل دولة ما يسمى

المتفاوضون بروتوكول مونتريال حول المواد التي تستنزف طبقة الأوزون وفرضت هذه المعاهد قيوداً بعيدة المدى على استخدام بعض الكيماويات التي تتلف طبقة الأوزون والتي هي تعتبر طبقة واقية من الغلاف الجوي من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، فهذه المشكلة تبدأ من المستوى المحلي ثم الإقليمي ثم العالمي، وكما نعرف أنه لا يمكن فصل القضايا البيئية حسب طبيعة الحدود الجغرافية، ففضية نفاذ طبقة الأوزون مشكلة عالمية لأنه لا يخلو مكان في العالم إلا ويستخدم مواد التبريد سواءً على نطاق كبير أو نطاق ضيق.

إن تصنيع هذه المواد ثم نقلها واستخدامها كلها عناصر متحدة، ولذا فإن المنتج والمستهلك لهذه المواد لا بد من العمل سوياً للتخلص من هذه المواد تدريجياً حسب الجدول الزمني الذي أقر من المنظمات الدولية، وهكذا يقاس عليه كثير من القضايا البيئية المعاصرة التي تشترك في التعامل معها فئات عدة.

إن الاستراتيجية ذات الخمسة مستويات والأهداف الرئيسية للخطة البيئية التي حددتها دوله مثل هولندا ليس بالضرورة أن تكون هي نفس القضايا في دول آسيا والدول العربية.

ففي دولة مثل الصين مثلاً لا بد أن يكون أهم القضايا لديها هو تلوث الهواء لاعتبارات عدة، وكل دولة لها أوليات في البيئة ولكن هذا لا يأتي إلا بعد دراسات ميدانية معمقة من خلال تجميع التقارير السنوية للأداء البيئي التي تقوم بها الجهات المختلفة وضمن فرق عمل تتولى الإشراف عليه الجهاز التنفيذي المعني بالأداء البيئي وليس الجهاز التشريعي الذي يصوغ السياسات والقوانين، وإذا أردنا التعرف على أسلوب تنفيذ خطة العمل البيئية فلا بد أن يكون ذلك من خلال ما يلي:

– أساليب تنظيف نهايات الأنابيب والمقصود هنا هو معالجة التلوث الناتج من الانبعاثات مثل ملوثات الهواء والملوثات الناتجة في المياه العادمة ثم النفايات الخطرة بشقيها السائلة والصلبة، ووضع هدف للحد من هذه الانبعاثات أو تقليلها إلى الحد المسموح به ضمن القوانين البيئية فلا بد أن يكون ذلك بأحد الطرق كتركيب أجهزة مهمتها السيطرة على التلوث بأنواعه، ويخضع هذا إلى اختيار التقنية المناسبة لنوع الملوث وتركيزه، وهذا هو المعمول به من الناحية التطبيقية، لكن هذه الطريقة أحياناً يصعب تنفيذها لأمرين:

أ – أنها تتطلب استثمارات عالية جداً مما يؤدي إلى زيادة تكلفة الإنتاج.

ب – أنه لو فرض وتم وضع مثل هذه الاستثمارات فهل يمكن



بخطة العمل البيئية تحدد أولويات البيئة في الدولة ويكون جنباً إلى جنب مع خطط التنمية التي يتم رسمها كل خمس سنوات، وأهم ما يحدد معالم هذه الاستراتيجية هو معرفة المشكلات البيئية القائمة والتي تعاني منها الدولة أو تلك، ولذلك يجب أن تترجم هذه الاستراتيجية العامة إلى خطة عمل قابلة للتنفيذ ومن الضروري معرفة الموارد البشرية والمالية المطلوبة لتنفيذ هذه الأهداف. ولذلك أصبحت خطة العمل البيئية شرطاً للقروض التي تحصل عليها الدول من البنوك العالمية، وإذا ما أردنا النجاح لخطة العمل هذه فإنه يجب أن تحظى بالتزام من الجهات المسؤولة صاحبة القرار مدعومة بأهداف مرسومة واضحة مرحلية وأخرى بعيدة المدى مع المتابعة المستمرة من قبل مجموعة العمل لقياس مدى الإنجاز، إن الإطار العام للاستراتيجية البيئية المعاصرة هو منهج تسيير عليه كثير من دول العالم، وذلك للمواءمة بين التنمية والبيئة أو ما يسمى بالاقتصاديات المستدامة، وسوف نتعرض مستقبلاً لبعض القضايا البيئية ضمن هذا الإطار.